

تجارب ناجحة وتمييزة للصم وضعاف السمع

الأستاذة ، المستشار القانوني / غناء حسن عوض

أمين أمانة التشريع والبحوث بالإنابة
بالاتحاد الصم القومي السوداني

الملخص

تتمحور هذه الورقة أساساً حول تجربتي الذاتية مع الإعاقة السمعية ، ويقتضيني المقام هنا تناول عدة جوانب هي :

- السيرة الذاتية والأعمال الفكرية .
 - طبيعة إعاقتي .
 - مشوار كفاح في محيط العلم والمعرفة .
 - ترويض الوظيفة .
- أصبت بالصمم الكلي على أعتاب الثامنة من العمر . التحقت بمدارس التعليم النظامي العادية (دمج) وتجاوزتها بنجاح بالاعتماد على نفسي . قبلت بكلية الشريعة والقانون بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وتخرجت بدرجة البكالوريوس (بتقدير جيد) .. جلست لامتحان المعادلة والذي يتيح النجاح فيه ممارسة مهنة القانون .. حائزة على الدبلوم العالي والماجستير في الفقه المقارن من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وكان عنوان رسالة الماجستير (المسؤولية الجنائية للصم والبكم - دراسة فقهية مقارنة بالقانون السوداني) كأول رسالة من نوعها في السودان، والآن باحثة في مرحلة الدكتوراه بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان .

حالياً أعمل مستشارة قانونية بإدارة التشريع بوزارة العدل السودانية كأول صماء في تاريخ السودان تعمل بهذا المجال حيث تم تعييني بعد النجاح في المعايينات التي عقدتها وزارة العدل السودانية وبعد التعيين تلقيت فترة تدريب لمدة ستة أشهر، كما تلقيت دورة في الصياغة التشريعية وفقه التعاقد .. يوصفني الكثيرون بكوني أول مستشارة قانونية صماء في تاريخ الوطن العربي والإسلامي وربما التاريخ كله حسب تعبيرهم .

أجيد كتابة الشعر وشاركت بإلقاء القصائد في العديد من الفعاليات منها مهرجان الخرطوم عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٥ م ومناسبات اتحاد الصم .

إفتتاحية

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ يُدْرِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧) يونس: ١٠٧

السيرة الذاتية والأعمال الفكرية

الميلاد والنشأة: إسمي غناء حسن عوض ، سودانية الجنسية بالميلاد ، أنتمي إلى أسرة تشع علماً وثقافة حيث نشأت في كنفها وتنقلت بين مختلف بقاع الأرض وأخيراً استقر بي المقام في أم درمان.

لذا كان طبيعياً أن من ينشأ في مهد هذه الأسرة أن ينمو فيه حب المعرفة ونبيل الخصال. الوظائف التي شغلتها: أستاذة متعاونة بمدارس الصم ، مستشار قانوني بوزارة العدل منذ تعييني في عام ٢٠٠٦م وحتى الآن.

المؤهلات العلمية :-

- درجة الإجازة العالية (البكالوريوس) في الشريعة والقانون من كلية الشريعة ، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، أم درمان .
- دبلوم إمتحان تنظيم مهنة القانون من وزارة العدل السودان ٢٠٠١م .
- تمهيدي ماجستير فقه مقارن ، من كلية الدراسات العليا ، جامعة القرآن الكريم .
- ماجستير فقه مقارن ، جامعة القرآن الكريم ٢٠٠٤م .
- حالياً باحثة في مرحلة الدكتوراة .

المجالات الإنسانية :-

- عضوية الإتحاد العام للطلاب السودانيين .
- عضوية إتحاد طلاب جامعة القرآن الكريم ، أم درمان .
- عضوية إتحاد الشباب الصم ، أم درمان .
- عضوية الرابطة القومية السودانية للصم ، الخرطوم .
- عضوية إتحاد الصم القومي السوداني .



بحوث وأوراق عمل ومذكرات غير منشورة: -

- السجون أداة للإصلاح . أعد هذا البحث ضمن مسابقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .
- ميراث المسلمين تأصيل وتطبيق ، بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس .
- حقوق الأسرة في الإسلام ، دراسة فقهية مقارنة بالقانون السوداني . بحث مقدم لأغراض القبول في مرحلة الماجستير .
- المسؤولية الجنائية والمدنية للصم والبكم ، دراسة فقهية مقارنة بالقانون السوداني ، رسالة ماجستير .
- مجموعة شعرية كاملة .

الدورات التدريبية وورش العمل داخل وخارج السودان :-

- دورة تدريبية في الصياغة القانونية باللغة الإنجليزية ، وزارة العدل ، يونيو ٢٠٠٧م .
- دورة تدريبية عن الاتفاقية الدولية و العقد العربي للمعاقين ، القاهرة ، نوفمبر ٢٠٠٧م .
- ورشة عمل عن التعاون بين حوض النيل ، وزارة الري الخرطوم ، ديسمبر ٢٠٠٧م .
- ورشة عمل عن آفاق الحماية القانونية للأطفال - المجلس الإستشاري لحقوق الإنسان، الخرطوم ، ديسمبر ٢٠٠٧م .
- دورة تدريبية في فقه التعاقد ، إدارة العقود ، فبراير ٢٠٠٨ .

طبيعة أعاقتي

لقد ولدت بحالة صحية جيدة ، ولم أكن أعاني من أي علة فحسب وإنما بدأت رحلتي مع الإعاقة منذ بواكير صباي وبالتحديد على أعتاب الثامنة من عمري ؛ حيث فقدت سمعي إثر إصابتي بالتهابات فيروسية (غدة نكفية) أخطأ في تشخيصها طبيياً . ولم تيأس أسرتي ، وسعت إلى علاجي قدر المستطاع لكن - قدر الله وماشاء فعل - حالت إمكانيات الطب دون ذلك .

واقف الأمر أن جل المحيطين بي غير مقتنعين أو معترفين بكوني معاقاً ، والأدهى من ذلك كلما صارحت احد من تلقاء نفسي بحقيقة إعاقتي إرتسمت في عينيه نظرات الدهشة والإستغراب المقرونة بشيء من الإستنكار ... ربما لأنني أمارس حياتي بصورة طبيعية وبلغت من العلم مبلغاً وغير ذلك كثير يصعب حصره .

والحقيقة التي لا بد من ذكرها هنا هي : (أن الإعاقة السمعية Hearing Impairment ما هي إلا قصور في حاسة السمع لدرجة تحد من القدرة على سماع الكلام بوضوح وإستيعابه).^(١)

وقد صنفت هذه الإعاقة (أي السمعية) بحساب معدل الفقدان من الديسبل إلى عدة أنواع أرى حصرها في نوعين فقط:^(٢)

الأول : النقص السمعي أو ضعف السمع Heard of Hearing وهو فقدان للسمع يتراوح معدله ما بين ٢٠ إلى ٨٩ ديسبل ، ويتعدى أكثر من كونه قصوراً في حاسة السمع ، لا يحد من قدرتها على أداء وظائفها في غياب المعينات السمعية .^(٣)

الثاني : الصم (Deafness) : وهو فقدان للسمع يتعدى معدله ٩٠ ديسبل عادة ، بحيث

(١) دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية ، د. محمد الراجحي و د. عبد الرزاق عمار (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ط٢ ، ١٩٨٢ م ، ص١٧٨) . قراءات في التربية الخاصة وتأهيل المعوقين ، عبد العزيز جلال تونس ، ١٩٨٢ م ، ص١٢٦ .

مجلة التربية القطرية (العدد الثاني عشر بعد المائة ، السنة الرابعة والعشرين ، مارس ١٩٩٥ م ، ص٤٩) .

(٢) يستند هذا التصنيف إلى المكتب الدولي لعلم الأصوات الكلامية Bureall International d ، Audiphonnlagi

(٣) محمد الراجحي وآخر - مرجع سابق ، ص١٧٨ . عبد العزيز جلال - مرجع سابق ، ص١٢٦ .



تفقد قدرتها على أداء وظائفها ولو باستخدام المعينات السمعية.^(١) مجمل القول أعتبر بصفتي هذه معاقه سمعياً وحجتي في ذلك أن فقدان سمعي يتجاوز معدله ٩٠ ديسبل . ولئن كنت أتحدث طبيعياً فإن فقدانى لسمعي ليس بالضرورة مدعاة لفقداني حاسة الكلام أيضاً ؛ وبتوضيح أكثر (إن الصمم إعاقه حسية ، أما البكم فهو عكس ذلك ناجم عن فاقه في المحيط)^(٢) فقط هنك خلط بين الصمم والبكم.

مشوار كفاح في محيط العلم

وبما إنني لم أولد معاقه ، كان من البديهي أن أبدأ حياتي العلمية في مدارس عادية ؛ حيث درست عامان تميزت خلالهما بالنبوغ ورجاحة العقل بشهادة كل من عرفني . ولما أن ذهب سمعي - في العام الثالث - صعب علي إستيعاب الدروس ، وفي ضوء ذلك تعرضت لكثير من المخازي والتهميش لدرجة الإهمال . . . كأنما التعليم أصبح محرماً علي في نص القانون وليس شيء من ذلك ولكنها طبيعة من طبائع الجهل بالنقص الحقيقي لطبيعة التكوين اللازم للإنسان من بدء الخليقة والذي يحتم على كل فرد من أفراد البشر لزوم غيره من الأفراد أو الجماعات في تحقيق أهدافه وتطلعاته الحياتية لكي تقوم الحياة وتستمر ، والتي لاشك أنها واحدة من مقتضيات الإرادة الإلهية لله عز وجل الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم وفي أحسن صورة.

ولم ينتبه أحد إلى أن مثل هذا التصرف وحده يمكن أن يكون له أثر في إشعال ثورة الصمود والتحدي في داخلي . . . حيث جاهدت نفسي وبحثت في الموضوع من كل الجوانب وأدركت بأن لا بد لي من التكيف مع وضعي الجديد باستخدام البدائل والتي عرفت حديثاً (بالعويض عن القصور الحسي أو السلامة Safety Factor الثابت وجوده بقدرة الجسم على ملائمة نفسه للمطالب غير العادية على الرغم من القصور العضوي أو الحسي).^(٣)

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة . مجلة التربية القطرية ، نفس العدد والصفحة .

(٢) د. محمد الراجحي ود. بد الرزاق عمار ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ . عبد العزيز جلال ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

(٣) الرعاية الإجتماعية وخدمات المعاقين ، د. إقبال إبراهيم مخلوف (ط ١٩٩٩م) ، ص ٣٠ .

و يمكن تلمس ذلك في الآتي :-

أولاً : حرصاً مني على مواصلة دراستي في مدارس عادية (دمج) إعتدت في تواصلتي مع المجتمع المحيط بي ابتداءً على قراءة الشفاه Lip Reading ؛ أي تفسير التواصل المنطوق بصرياً وترجمته إلى أشكال حروف صوتية ، وهذه الطريقة تعرف أيضاً بقراءة الكلام Speech Reading^(١) . ثم أضفت إليها الكتابة العادية لاحقاً .

ثانياً : عوضت تعذر إستيعابي للدروس ببذل أقصى جهد ممكن بحيث يرتكز أساساً على الكتب المنهجية ، ثم معاونة شقيقتي - لهما الرحمة - اللتان وفرتا لي الأجواء المناسبة والمواءمة لحالتي . فكنت أتهدج الحروف الأبجدية وكلما واجهتني صعوبة لجأت إليهما .

ثالثاً : تجاوزت عقبة الشعور الزائد بالنقص بتخطي الصفوف الدراسية حيث أكملت التعليم العام في تسع سنوات فقط ، متخطية بذلك ثلاث سنوات دراسية كاملة . رابعاً : عدلت رغبتني في المرحلة الجامعية عن الكليات العلمية (التطبيقية) إلى حيث الكلية التي تتفق مع طبيعة إعاقتي بطوعي واختياري دون إيعاز من أحد .

ترويض الوظيفة

إثر حصولي على درجة البكالوريوس جلست لامتحان المعادلة ، الذي يتيح أو يخول لمن يجتازونه ممارسة مهنة القانون في السودان - والحمد لله - نجحت فيه لكن بكل أسف ظللت أتردد على مكاتب المحامين ولجنة قبول المحامين حيناً وما جنيت في آخر المطاف سوى مجرد وعود عقيم سرعان ما ذرتها الرياح ... حتى طرحت التخصص جانباً ورأيت القبول بأي وظيفة تكفيني الحاجة والسؤال .. فتخبطت في دروب العمل عشوائياً ، مرة هنا وأخرى هناك وهكذا دواليك لكن هيهات .. هيهات تحملت من جراء ذلك معاناة شتى دون جدوى ومع ذلك لم تفتر همتي وما عرف اليأس إليّ سبيلاً قط .. بل أصبحت أتحدى الجميع وأعتز بنفسي كثيراً .

١ المرجع السابق ، ص ٦٣ .



وأخيراً وفي غمرة مآساتي عقدت العزم في الوصول إلى مرامي بطريقتي الخاصة وأهتديت إلى فكرة الدراسات العليا عل وعسى .

ومن المؤسف حقاً لم يتم قبولي في مرحلة الدراسات العليا ابتداءً كأنما كتب علي تجرع المرارات ! وبعد إصرار وإلحاح من جانبي، عُقد إجتماعاً خاصاً تمخض عنه السماح لي بالدراسة بعد إتخاذ إجراءات معينة يمكن أن أُلخصها في الآتي:

- روجعت جميع مؤهلاتي العلمية بما في ذلك الشهادة السودانية (الثانوية).
- أُجريت لي معاينة خاصة وأخرى عامة .
- طُلب مني إنجاز بحث علمي في مدى زمني محدد.

لكن بعد التمعن إثر إكتمال الإجراءات المطلوبة تأكد لهم بأني أهلاً للدرجة فسمح لي بالمواصلة. وهكذا أعتكفت في المرحلة فتنوقت في السنة التمهيدية كما أثار موضوع الرسالة (المسؤولية الجنائية والمدنية للصم وإليكم ، دراسة فقهية مقارنة بالقانون السوداني) دهشة الأصدقاء و الأعداء معاً نظراً لكونه غير مسبقاً ويكشف عن جانب بحثي جاد ومبتكر.

ولكي أتمكن من رسم كيان لنفسي في المجتمع تقدمت عقب حصولي على الماجستير ضمن المستشارين القانونيين بوزارة العدل وبعد استيفاء المطلوبات اللازمة تم تعييني .
وهأنذا الآن بفضل من الله تعالى الذي وهبني عزيمة لا تلين أصبحت أول مستشارة قانونية صماء في التاريخ الحديث - كما يصفني البعض - وإن كان ثمة إشادة فإنني أخص بها وزارة العدل بالسودان لأنها احترمت إعاقتي وردت لي اعتباري وعاملتني من منطلق إعتقاد راسخ مفاده أن تفاوت الناس في الخصائص لم يأت لأجل السخرية والاستهزاء فحسب وإنما لكي تنتظم شؤون الحياة وتتحقق حاجات الناس ومنافعهم، وهذا الأمر بينه القرآن الكريم أو كما جاء في تفسير الآية (٣٢) من سورة الزخرف^{(٩)(١)}.

عموماً أنا في بداية الطريق وما يزال المشوار أمامي طويلاً والله أسأله أن يمكنني من إعطاء مهنتي حق قدرها ، واحترامها ووضعها في الموضوع اللائق بها، وفهم رسالتها فهماً صحيحاً وما التوفيق إلا من عند الله.

(١) (٩) قيس من نور القرآن - للصابوني - طبعة دار الأرقم ١٩٩٨ - الجزء السادس - ص ١٣٠ .

المراجع والمصادر

- ١) الرعاية الاجتماعية وخدمات المعاقين / د. إقبال إبراهيم مخلوف - طبعة ١٩٩١.
- ٢) دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية / دكتور محمد الراجحي ، ودكتور عبدالرازق عمار - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - طبعة ١٩٨٢.
- ٣) قيس من نور القرآن / محمد علي الصابوني - طبعة دار الأرقم ١٩٩٨، الجزء السادس.
- ٤) قراءات في التربية الخاصة وتأهيل المعوقين / عبدالعزيز جلال - تونس ١٩٨٢.
- ٥) مجلة التربية القطرية - العدد الثاني عشر بعد المائة - السنة الرابعة والعشرين - مارس ١٩٩٥.
- ٦) تصنيف المكتب الدولي لعلم الأصوات الكلامية ، Bureall international ،
.Audiphonlogi